نقد الرواية العربية من منظور الاستشراق
-روجر ألن مثالا-

- أ. م. د. علي محمد ياسين
- جامعة كربلاء- كلية العلوم الإسلامية

الملخص

للبروفسور المستشرق (روجر ألن) اهتماماُت واضحةٌ في الأدب العربي الحديث تعكسها مجموعة الروايات العربية المتعددة التي ترجمها إلى اللغة الإنجليزيّة و مجموع البحوث والمحاضرات التي خصصها لهذا الأدب مركِّزاً على جانبه النثري الذي لم يجد الاهتمام المطلوب من قبل المستشرقين قدر اهتمامهم بالمجالات الأخرى إبداعيةً كانت أو معرفيّةً.

يسعى هذا البحث للوصول إلى الكيفية التي يفهم بها القارئ الغربي أدبنا العربي الحديث، وذلك عبر تسليط الضوء على الطريقة التي تعامل بها هذا المستشرق مع الفن الروائي العربي من خلال كتابه: (الرواية العربية، مقدمةٌ تاريخيةٌ ونقديةٌ) ثم محاولة تقصّيمفاهيمه العامة لهذا الجنس السردي وصولاً إلى منهجه في التعامل مع الأدب العربي الحديث ممثّلاًببعض الأعمال الروائية والقصصية التياستجابت لها ذائقته النقدية فقرأها على وفق هذه الاستجابة.

المنارة للاستشارات

المقدمة

يعد المستشرق البريطاني روجر ألن المولود عام 1942م في (بورن ديفون) والحاصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة أوكسفورد في بريطانيا عام 1968م،[1] واحدًا من ألمع المستشرقين المعاصرين ممن اهتموا بالأدب العربي الحديث الذي لم يكن ليستقطب الدراسات الاستشراقية أسوةً بالآداب الكلاسيكية العربية؛ لصعوبته أولا ولقلة البحوث المكتوبة عنه في الأكاديميات الغربية، قياسًا بالبحوث والدراسات الأخرى المكتوبة في المجالات الفكرية والتاريخية والدينية التي شغلت الاستشراق وحركت دوافعه العديدة[2].

وقد عمل (روجر ألن)مدرسًا لمادة الأدب العربي في الجامعات البريطانية بعد حصوله على شهادة الماجستير، ثم تحوّل للعمل بجامعة بنسلفانيا في فيلاديلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على شهادة الدكتوراه، وما يزال محاضرًا بدرجة (بروفسور) في التخصص نفسه وفي الجامعة نفسها[3]، وقد كتب داخل أروقة هذه الجامعة أول دراسةٍ له بعنوان: حديث عيسى بن هشام للمويلحي، دراسة عصرٍ في ظل الاحتلال البريطاني الصادرة عن دار نشر جامعة نيويورك عام 1974م[4].

قدم هذا المستشرق العديد من المحاضرات حول الرواية العربية أيام عمله في الجامعات البريطانية، ثم جمع هذه المحاضرات وأضاف إليها الكثير لينشرها عام 1982م في الولايات المتحدة الأمريكية بكتاب ترجمته إلى العربية (حصة إبراهيم المنيف) بعنوان: (الرواية العربية، مقدمة تاريخية ونقديّة)[5]، وهو ما سيرتكز عليه هذا البحث الموجز، مضافًا إليه كتابه

(١) ينظر، نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط٤ ١٩٨٠م، ج٢ / ص٦١

(٢) للوقوف على الأسباب العديدة لعزوف الاستشراق عن دراسة الأدب العربي الحديث، ينظر مثلا، أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. (القاهرة، بدون تاريخ) ص٤٩٢ وما بعدها.

(٣) ينظر، روجر ألن: لا أترجم لأديبٍ لا أعرفه شخصيًّا، حوارٌ أجرته معه مجلة البيان الإماراتية بتاريخ ٢٩ يونيو ٢٠٠٨ على الرابط https://www.albayan.ae/paths/books/٢٠٠٨-٠٦-٢٩-١,٦٥٢٣٦٨

(٤) ينظر، د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبيّة العربيّة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص ١٨٣.

(٥) ينظر، روجر ألن: الرواية العربية مقدمةٌ تاريخيةٌ ونقديّةٌ، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٧م (د ط)، ص١٣.

المنارة للاستشارات

الثـاني الصـادر عـام 2000م، بعنـوان (مقدمـةٌ عـن الأدب العـربي) والمترجـم هـو الآخـر إلى العربيـة بوسـاطة ثلاثـةٍ مـن المترجمـين العـرب، هـم: (رمضـان بسـطاويسي، مجـدي أحمـد توفيـق، فاطمـة قنديـل) والمنشـور عـام 2003م،عـبر مؤسسـة المـشروع القومـي للترجمـة فيالقاهـرة، والكتابـان يكشـفان عـن إلمـامٍ واضـحٍ بتاريـخ الأدب العـربي الطويـل، ولا سـيما الحديـث منـه، وعـن معرفـة بالأسـماء المبدعـة في الفـن الـروائي مـن مختلـف الأقطـار العربيّـة.

وبالنظـر إلى المنزلـة الرفيعـة التـي يتمتـع بهـا (روجـر ألـن) مـن خـلال تفاعلـه مـع المشـهد الثقـافي العـربي المرتبـط بالفـن الـروائي فقـد أُنتـدب إلى جانـب تدريسـه في الجامعـة رئيسـا للجنـة تحكيـم جائـزة (بانيبـال) للترجمـة، وعضـوًا مشـاركًا في لجنـة تحكيـم جائـزة (العويـس) الدوليـة، فضـلاً عـن رئاسـته تحريـر مجلـة آداب الـشرق المتوسـط، وإعـداده لأحـد أجـزاء تاريـخ (كمـبردج) لـلأدب العـربي[1].

وإيمانًـا منـه بالقيمـة الفنيـة العاليـة وبالجـدارة الأدبيـة التـي تحملهـا الروايـة العربيـة، فقـد نقـل إلى الإنجليزيـة الكثـير مـن القصـص والروايـات العربيـة، منهـا عـلى سـبيل المثـال لا الحـصر، روايـة (خـان الخليـلي) لنجيـب محفـوظ وروايـة (حكايتـي شرحٌ يطـول)، كـما ترجـم روايـة الأديـب المغـربي بـن سـالم حميـش (مجنـون الحكـم) المسـتوحية لسـيرة العلامـة ابـن خلـدون، فضـلاً عـن ترجمتـه لبعـض أعـمال يوسـف إدريـس وجـبرا إبراهيـم جـبرا وعبـد الرحمـن منيـف ومـي التلمسـاني، وسـواهم مـن الأدبـاء العـرب المعاصريـن[2].

وسـتحاول هـذه الدراسـة الموجـزة مـن خـلال مباحثهـا الثلاثـة الوقـوف عـلى مفهـوم (روجـر ألـن) لفـن الروايـة وتتبـع منابـع الرؤيـة المشـكّلة لهـذا المفهـوم مـن خـلال تحليـل نصوصـه، لا بوصفـه ناقـدًا فحسـب؛ وإنمـا بوصفـه ناقـدًا ومسـتشرقًا في آنٍ واحـدٍ، لا سـيما وأن النقـد الأدبي الـروائي مـن منظـور الاسـتشراق -كـما يبـدو لي- لم يتطـرق إليـه أحـد مـن الباحثـين العـرب ضمـن بحـثٍ علمـيٍّ منشـورٍ.

(١) ينظر، روجر ألن: مقدمةٌ للأدب العربي، ترجمة: رمضان بسطاويسي، مجدي أحمد توفيق، فاطمة قنديل، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٣٩٣.

(٢) ينظر، روجر آلن: لا أترجم لأديبٍ لا أعرفه شخصيًا، مصدرٌ سابقٌ.

المنارة للاستشارات

كـما ستسـعى محاولتنـا هـذه إلى مقاربـة المنهـج النقـدي الـذي تحركـت في إطـاره اشـتغالات هـذا المسـتشرق حينـما اختـار نمـاذجَ معينـةً مـن الروايـة العربية في كتابـه هـذا بغيـة تحديـد الموقـف الفكـري الـذي يضمـره مـن خـلال تفضيلـه هـذه النـماذج التـي قاربهـا دون غيرهـا.

المبحث الأول

- المستشرقون والسرد العربي الحديث، مدخلٌ أوّليٌ

عـلى الرغـم مـن الصعوبـات الجمـة التـي تواجـه الدارسـين لوضـع تعريـف مانـعٍ جامـعٍ للروايـة بوصفهـا فنًّـا إبداعيًّـا مسـتمرًّا في التطـور وغـيرَ مكتمـل الملامـح وغـيرَ خاضـعٍ لضوابـطَ وأعـرافٍ فنيـةٍ نهائيـة،[1] فـإن مصطلـح الروايـة المحيـل عـلى نـوعٍ مـن أنـواع سرد القصـص المشـتمل عـلى العديد مـن الأحداث والشـخصيات المتنوعـة الانفعـالات والمشـارب والدوافـع قـد انتقـل للدلالـة عـلى العمـل القصصيبعـد أن كان متعلّقـا بعمليـة نقـل الأخبـار والأحاديـث والأسـمار والقصـص والحكايـات[2].

إن للروايـة - كـما يرصـد ذلـك عبـد الملـك مرتـاض- تعريفـاتٌ لا تُحصى[3]، لكنهـا تبقـى في نهايـة المطـاف جنسًـا أدبيًّـا راقيًـا، وشـديدَ التعقيـد، تتلاحـم أجـزاؤه وتتضافـر لتكـوّن شـكلاً أدبيّـا عـماده اللغـة الأدبيـة والخيـال الـذي يسـقي هـذه اللغـة مشـدودًا بعنـصر الـسرد ومـا يقتضيـه مـن حبكـةٍ وحـوادثَ وشـخصياتٍ تواجـه مصائـرَ متنوعـةً[4].

وربمـا انسـحبت إشـكالية تحديـد ماهيـة الروايـة وصعوبـة تعريفهـا كجنسٍ أدبيٍّ عـلى إشـكاليةٍ أخـرى متعلقـةٍ بالتاريـخ الأدبي لهـا، إذ دَرَج المهتمـون على أن بدايـة التاريـخ الفنـي لهـا عالميًّا ينطلـق مـع روايـة (دون كيشـوت 1605م) للكاتب الأسـباني سرفانتـس، وعربيًّـا مـع روايـة (زينـب 1914م) للكاتـب المـصري محمد حسـين هيـكل، عـلى الرغـم مـن وجـود أشـكالٍ قصصيـةٍ أخـرى سـابقةٍ لهذيـن

(١) ينظر، محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس ط١، ٢٠١٠، ص ٢٠١.

(٢) ينظر، عدنان بن ذريل: مصطلح الرواية وتطور مفهومها العربي، مجلة الآداب البيروتيّة، آذار، ١٩٦٣م.

(٣) ينظر: عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨م، ص ١١ وما بعدها.

(٤) ينظر، نفسه، ص ٣٠.

المنارة للاستشارات
ww

العملين في الأدب العالمي والأدب العربي على حدٍّ سواء.

وهذا لا يعني أن ظهور الرواية العربية وبروزها مرتبطٌ بصاحب رواية (زينب) وحده، بل هو ثمرةٌ لعواملَ عديدةٍ: أدبيةٍ، وثقافيةٍ واجتماعيةٍ، ولتطور المجتمع العربي الحديث بعد الاحتكاك بأوربا، ولظهور الطباعة وانتشار الصحافة ونشاط حركة الترجمة، فضلاً عن التطورات الاقتصادية الكبرى التي أسهمت بحدوث تحولاتٍ اجتماعيةٍ مهمةٍ كان فنُّ الرواية فيها من أكثر الأجناس الأدبية قدرةً على مواكبة الأحداث ورصدها والتعبير عنها.

ولما كان النقد الأدبي جزءًا من المشهد الثقافي، ينحطّ بانحطاطه ويزدهر لازدهاره فقد صاحب الروايةَ العربيةَ بعد ظهورها نقدٌ جديدٌ مختلفٌ لم تعهده الثقافة العربية المتآلفة مع فن الشعر لقرونٍ طويلةٍ، والممتلكة لتراثٍ عريقٍ يجيد التعامل مع هذا الفن القريب من ذائقة العربي ومن نفسيّته، وقد اختلفت مواقف النقاد العرب وطرق معالجتهم ومناهجهم في تناولهم لفن الرواية اختلافًا كبيراً[1].

أما عند المستشرقين فقد نالت الرواية العربية حظوةً كبيرةً من المهتمين منهم بالأدب العربي الحديث تجاوزت حظوة الشعر نفسه، وقد وجدت هذه الرواية طريقًا إلى ترجماتهم الكثيرة لنماذجَ مختلفةٍ منها، وإنّ هذه الترجمات كانت (أقرب إلى الدارسين الغربيين من ترجمة الشعر والمسرح، كما أنها [الرواية] لا تعبّر عن طبيعة البيئة العربية وحدها، بل تطرح قضية الإنسان بشكلٍ عامٍّ، وهي تخلو من تعقيدات الشعر، وتهويمات المسرح، وتكشف عن خصائص الأديب والمجتمع معًا)[2].

وبهذا الصدد فإنّ الاستشراق، وإن اُتُّهم بتركيز اهتمامه على تاريخ الشعوب الشرقية في الماضي البعيد، وبإهمال تطور هذه الشعوب في العصور الحديثة والسكوت عن نهضتها القوميّة باقتصاره على دراسة الجوانب البالية

(١) للوقوف على ذلك ينظر مثلا: د. أحمد إبراهيم الهواري، نقد الرواية العربية في الأدب العربي الحديث في مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٣، ص ١٠٧ وما بعدها؛ وينظر أيضا، محمد سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي، نماذجُ تحليليةٌ من النقد العربي،دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط٢ ١٩٩٤م، ص ٢١ وما بعدها.

(٢) د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبيّة العربيّة، مصدرٌ سابقٌ، ص ١٨٦.

المنارة للاستشارات

والميتة من الحضارات الشرقيّة[1]؛ فإن الباحث لا يعدم وجود اهتمامٍ واضحٍ بشؤون الحياة الثقافية والأدبية المعاصرة عند العرب، وبفن الرواية خصوصًا، وقد ابتدأت ريادة هذا الاهتمام مع (أغنانيوس كراتشكوفسكي) الروسي، ثم تابعته تلميذته (كلثوم عودة فاسيليفيا) التي نشرت المنتخبات لدراسة الآداب العربية منذ سنة 1880م- 1925م، متناولةً أدب جرجي زيدان وأمين الريحاني وجبران خليل، ثم لحقتها بدراساتها عن توفيق الحكيم والمازني وذي النون أيوب والشرقاوي ويوسف إدريس وغيرهم[2].

وما يؤكد هذا الاهتمام لاحقًا هو كثرة الرسائل والأطاريح المسجلة في الأكاديميّات الغربية عن فنون العرب السردية الحديثة، ومن هذه الدراسات مثلا: أطروحة المستشرق الفرنسي (شارل فيال) بعنوان: الاتجاهات الاجتماعية في القصة العربية المعاصرة، في عام 1957م، ورسالة المستشرق الأسباني (فرناندو أويدا) بعنوان: الأقصوصة المعاصرة في المغرب عام 1969م، ورسالة المستشرقة الأسبانية (ماريا توماس كلارا) عن الرواية النسائية المعاصرة في سوريا[3].

ومع مطلع السبعينيات من القرن الماضي شهد حقل الرواية العربية إقبالاً واضحًا من المستشرقين الفرنسيين، إذ كتب (شارل فيال) مجموعة كتبٍ عن الرواية العربية منها كتابه: المرأة في أدب نجيب محفوظ عام 1972م، وكتاب عن أدب يحيى حقي القصصي، وثالث بعنوان: القاهرة في نظر الروائيين العرب عام 1973م، كما كتب المستشرق الفرنسي (مونييه) عن الأدب القصصي لمحمد عبد الحليم عام1974م، في حين اختارت المستشرقة الفرنسية (ندا توميش) في العام 1975م أن تؤرخ للقصة المصرية بعد حرب حزيران عام 1967م، وأن تكتب في العام 1976م عن ريادة القصة المصرية وبواكيرها الأولى[4].

(١) ينظر، عبد الله العروي: الإيديولوجيا العربية المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، د.ط، ١٩٧٠م، ص ٢٤٠.

(٢) ينظر:، أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، ١٩٩٨م، ص ٥١١.

(٣) ينظر، العقيقي: المستشرقون، مصدر سابق، ج١/ ص٣٧.

(٤) د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبيّة العربيّة، مصدر سابق، ص ١٨٧.

المنارة للاستشارات
ww

أما التطور الكبير الذي حققته الرواية العربية خلال العقدين الأخيرين من القرن نفسه، لا سيما بعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب عام 1988م فقد أغرى المستشرقين المهتمين بالسرد العربي بالدخول إلى عوالم نجيب محفوظ بغية اكتشافها وتحليل شخصياتها المتحركة في محيطٍ شرقيٍّ إسلاميٍّ يكابد من أجل النهوض واللحاق بركب الحضارات الإنسانية الصاعدة.

ولذلك فقد بلغ عدد المقالات والدراسات التي كتبت عن محفوظ بعد حصوله على الجائزة في بريطانيا وحدها أكثر من ثلاثين مقالاً وبحثًا كتبها مستشرقون في الدوريات الإنكليزية فقط[1].

ولعل المستشرق الراهب (جاك دومييه) المهتم بالأبعاد السيكولوجية لشخصيات محفوظ الروائية من أقدم المستشرقين اهتمامًا بأدب هذا الروائي المميز، إذ كتب كتابًا بعنوان (ثلاثية نجيب محفوظ) نقله إلى العربية بالعنوان نفسه الشاعر المصري نظمي لوقا[2]، ثم توالت البحوث والدراسات الاستشراقية الكثيرة عنه.

وإذا كان محفوظ هو الاسم المميز في عالم الرواية العربية فإن يوسف إدريس هو الاسم المميز في عالم القصة العربية القصيرة، ولذا فقد حظي إبداعه القصصي بمتابعات المستشرقين وقراءاتهم الكثيرة، وكان من أهم هذه الدراسات دراسة (كربرشويك) الهولندي المنقولة للعربية[3] أيضا.

المبحث الثاني

-مفهوم الرواية، والرواية العربية عند روجر ألن

للوصول إلى مفهوم الرواية عند روجر ألن لا بد من الوقوف على مفهومه لمصطلح (أدب) الذي تقصدلالته في الموروث النقدي والأدبي العربي في كتابه (مقدمة للأدب العربي)[4] ابتداءً من الجاهلية وعصر

(١) المصدر نفسه، ص١٨٨.

(٢) ينظر، جاك جومييه: ثلاثية نجيب محفوظ، ترجمة: نظمي لوقا، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٤م،

(٣) ب.م كربرشويك: الابداع القصصي عند يوسف إدريس، ترجمة: رفعت سلام، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الأولى،١٩٩٣م

(٤) ينظر، روجر ألن: مقدمةٌ للأدب العربي، مصدرٌ سابقٌ، ص ٢٢ وما بعدها.

المنارة للاستشارات
ww

الإسلام مروراً بالعصور اللاحقة وانتهاء بالعصر الحديث دون أن يرجّح تعريفًا محدَّدًا لهذا المصطلح الذي اعترف بتحوّل دلالته وتغيُّرها بحسب المحيط والتاريخ العربيين، وبارتباط مفهومه كتعبيرٍ راقٍ، وبكل أنماطه وأجناسه الشعرية والنثرية بـ(اللغة الرفيعة ارتباطا وثيقًا إلى حدّ استبعاد الأنماط الأخرى من الإبداع غير المتوافقة مع تلك المعايير)[1]. وقد ظل (روجر ألن) يؤكد ضرورة اشتمال كلِّ أدبٍ إنسانيٍّ على أمرين مهمين، هما الإنسانية والجِدّة التي تعني: (أن يكون العمل مبتكرًا وأصيلاً، وأن يكون شكلاً لا يُكرِّر ما يردده معظم الناس إما بحكم الحاجة أو الاضطرار)[2]. كما اشترط في مواضعَ كثيرةٍ من كتابيه أن يكون العمل الأدبي غير مكرور ولا مبتذلٍ وأن يكون متعلقًا بهموم الإنسان الفرد ومعبِّرًا عن هموم الجماعة التي ينتمي إليها هذا الفرد[3]. وعلى الرغم من إقرار (روجر ألن) بصعوبة تحديد مفهومٍ ثابتٍ ونهائيٍّ لفنِّ الرواية، واصفًا إياها بأنّها: (نمطٌ أدبيٌّ دائمُ التحول والتبدّل، يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حالٍ)؛ فهو لا ينفي صلتها العميقة بالحياة واتصالها الوثيق بكينونة الإنسان، وقدرتها على اجتذاب أنماطٍ متنوعةٍ ومختلفةٍ من القُرّاء الذين وجدوا خلال المائتي السنة الماضيتين ضالّتهم في هذا الشكل الأدبي القادر على إحداث لونٍ من التطابق المفترض بين الحياة والفن[4].

إن الرواية بتصور هذا الناقد المستشرق من أكثر الأجناس الأدبية قدرةً على تصوير الذات والواقع الذي تحيا ضمنه، وهي بوصفها جنسًا أدبيًّا قادرةٌ علىتشخيص ذاتها بطرقٍ مختلفةٍ، كما أنها ليست مجردَ حكايةٍ تقوم على سرد مجموعةٍ متتاليةٍ من الأحداث المترابطة أو غيرِ المترابطة، لكنها فنٌّ يمتلك تنوُّعًا غنيًّا من الإمكانيات السردية الجامعة بين المواضيع التربوية ومواضيع التأمل الشخصي والخيال الجامح، فضلاً عن جمعها بين

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٣.

(٢) ينظر، مثلا روجر ألن: الرواية العربية، مصدر سابق، ص١٨-١٩ والرأي لإدوارد سعيد كما ينقل ألن في الهامش رقم (٦) من ص١٩.

(٣) ينظر، مثلا روجر ألن: الرواية العربية، مصدر سابق، ص١٨، ص٢٠، ص٢٢، ص٢٨.

(٤) ينظر، روجر ألن: الرواية العربية، مصدر سابق، ص٢٠.

المنارة للاستشارات
ww

ما هو اجتماعيٌّ ونفسيٌّ وفلسفيٌّ[1]، ولذلك يُضفي (روجر ألن) على هذا الفن أهميةً كبيرةً مراهنًا على قدرته في تحريك جوامد المجتمع العربي، وفي إحداث التغيير الثقافي اللازم والمواكب للعصر.

وإذا كان هذا المستشرق يذهب إلى محاكاة الرواية العربية لأختها الغربية وتأثّرها بها واقتباسها منها، فإننا نجد له محاولاتٍ واجتهاداتٍ نقديةً واضحةً في أن يتلمس لها جذورًا في الموروث العربي الحكائي الذي يشمل (النوادر، والصور القلمية الموجزة، والحكايات ذات المغزى الأخلاقي، وقصص الهروب العجيبة، والأنماط المشابهة، وقد جُمعت هذه الأعمال في مجلداتٍ تحت عناوينَ كثيرة التنوع بهدف توفير المتعة للفئات التي تستطيع القراءة، خاصةً أصحاب السلطة)[2].

أما في محاولته التوفيق بين الحضارة الغربية والحضارة المنتجة للرواية والحضارة العربية صانعة ألف ليلة وليلة والملاحم الشعبية والأسمار؛ فربما يلتقي (روجر ألن) مع النُّقّاد الذين قالوا باحتواء الرواية على الجذر الملحمي وباشتمالها على عدةِ أجناسٍ تعبيريةٍ، واحتوائها على تداخل لغاتٍ وأصواتٍ متعددةٍ، ومن هؤلاء النقاد (ميخائيل باختين) على سبيل المثال.[3]

وعلى أمد قرنين من الزمان يمسح (روجر ألن) بشكلٍ موجَزٍ الظروف المحيطة بعصر النهضة في مختلف الأقطار العربية راصدًا هذا الفن الجديد في الأدب العربي، منذ بداياته الأولى في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر على يد اللبناني (بطرس البستاني 1819-1883) حتى بلوغه الخطوة الفنية الأولى أوائل القرن العشرين على يدي محمد حسين هيكل في روايته (زينب 1913م) ثم بلوغه قمة النضج الفني منتصف القرن العشرين في مصر التي يَعدّها نقطةً جغرافيةً مركزيةً في نشأة الرواية العربية واكتمالها جنسًا أدبيًّا من الناحية الفنيّة[4].

(١) ينظر، الرواية العربية ص٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢

(٣) ينظر، ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط١ ١٩٨٧م، ص٩ وما بعدها.

(٤) ينظر، المصدر نفسه، ص٣١-١٠٥.

المنارة للاستشارات

ويحاول هذا المستشرق الإنجليزي في رصده لهذا الأمد الزمنيالطويل نسبيًّاالتوقف عند أهم العلامات الفارقة في تاريخ الرواية العربية دون أن يقع في الانتقاء المُخِلّ الذي كان يحذره[1] في عرضه لمسيرة الرواية العربية الممتدة لما يقرب من القرنين من الزمان بين إرهاصتها الأولى وسِنِيِّ نضجها، الأمر الذي أوقعه في الخلط -أحيانا- عند حديثهعن الرواية بوصفها جنسًا أدبيًّا قائمًا بذاته، ويتضح ذلك جليًّا من خلال ضربه الأمثلة التوضيحية لهذا الحديث عبر تناوله الأجناس الأخرى القريبة من فن الرواية، كفَنَّيِ القصة القصيرة[2]، والسيرة الذاتيّة مثلا.[3]

أما مراحل تطور الرواية العربية الحديثة في هذا الأمد الزمني الطويل فيحصرها (روجر ألن) بثلاثِ مراحلَ أساسيةٍ في مسيرة الرواية العربية الحديثة، هي كالآتي: مرحلة البدايات الأولى المرتبطة بالنهضة العربية الحديثة وبتطوّر تقاليد النثر الأدبي فيها، ومن ثم مرحلة المحاولات القصصية المبكرة في فترة ما بين الحربين العالميتين، وأخيراً مرحلة نضج الرواية العربية التي يحددها بين العام 1939م وحتى تاريخ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب عن ثلاثيّته المشهورة سنة 1988م.

وقد اتّكأ (هذا الناقد الغربي) على عددٍ من الدارسين العرب والغربيين في التأصيل التاريخي للرواية العربية في مراحلها الثلاث، وقد تعددت إحالات هوامشه على المصادر العربية والغربية؛ وإن كانت نسبة الغلبة فيها تشير إلى المصادر العربية الحديثة المتعلقة بالجنس الروائي على حساب المصادر الأخرى مجتمعةً.

وبعد أن ينتهي (روجر ألن) من التأريخ المناسب الذي يرتئيه للرواية العربية يفتح بابًا في كتابه للحديث عن الموضوعات الأثيرة للرواية العربية في مرحلة نضجها واكتمالها، بحيث تحولت الرواية العربية مع هذه الموضوعات إلى جنسٍ أدبيٍّ مستقرٍّ قادرٍ على النهوض بوظيفته الاجتماعية والأخلاقيّة، وتتلخص هذه الموضوعات بالآتي:

(١) ينظر، روجر ألن: الرواية العربية، ص١٧٧.

(٢) ينظر، مثلا، المصدر نفسه، ص ٦٥

(٣) وينظر، مثلا حديثه عن سيرة طه حسين الذاتية في الأيام، ص٦٨ من المصدر نفسه.

المنارة للاستشارات
ww

أ- الـصراع والمواجهـة مـع الاحتـلال الإسرائيـلي الغاصـب لا سـيما مـع الروائيـين الفلسـطينيين، كغسـان كنفـاني في روايتـه (رجـال في الشـمس)، وجـبرا إبراهيم جـبرا في (السـفينة) وإميـل حبيبـي في (سداسـية الأيـام السـتة) وسـحر خليفـة في روايتهـا (لم نعـد جـواري لكـم) وغيرهـم[1]،

ب- الثـورة والاسـتقلال والتحـرر، وهـو مـا تجسـده روايـات العديـد مـن الروائيين العـرب، كنجيـب محفـوظ في ثلاثيتـه، والمغـربي عبـد الكريـم غـلاب في (دفنّـا للـماضي) والجزائـري الطاهـر وطّـار في روايتـه (اللـزّ)، والعراقـي غائـب طعمـة فرمـان في (خمسـةُ أصـواتٍ)، واللبنـاني توفيـق يوسـف عـواد في (الرغيـف)، والسـوري حنـا مينـا في (الـشراع والعاصفـة) وغيرهـم[2].

ج- الحـرب الأهليـة اللبنانيّـة، كـما جسـدتها أعـمال كلٍّ مـن: توفيـق يوسـف عواد في روايـة (طواحـين بـيروت) وغـادة السـمان في (كوابيـس بـيروت) وإليـاس خـوري في (الجبـل الصغـير) وغيرهـم[3].

د- إشـكالية العلاقـة مـع الغـرب، ولا سـيما في مرحلـة مـا بعـد التحـرر مـن نـير الاسـتعمار، وكـما جسّـد ذلـك كتاب عـربٌ مختلفـون، منهـم: اللبناني يوسـف إدريـس في (الحـي اللاتينـي) والسـوداني الطيـب صالـح في (موسـم الهجـرة إلى الشـمال) والمغـربي محمـد زفـزاف في (المـرأة والـوردة) وغيرهـم.[4]

هـ- التحـولات الاجتماعيـة بعـد اسـتثمار النفـط، كـما تعكـس ذلـك روايـات الـروائي السـعودي الأصـل عبـد الرحمـن منيـف كـ(النهايـات) و(سـباق المسـافات الطويلـة) ثـم خماسـيته المطولة(مـدن الملـح)[5].

و- العلاقـة بـين الريـف والمدينـة، وهـي موضوعـةٌ ليسـت جديـدةً عـلى الروايـة العربيـة، فقـد رسـم لهـا الـروائي العراقـي ذو النـون أيـوب صُـوَرًا نابضـةً بالحيـاة عـام ١٩٤٨ في روايتـه (اليـد والأرض والمـاء) وتابعـه في مـصر عبـد الرحمـن الشرقـاوي في روايتـه المشـهورة (الأرض) ومواطنـه يوسـف إدريـس

(١)) ينظر، المصدر نفسه، ص ١٠٧ وما بعدها.
(٢)) ينظر، نفسه، ص ١١٨ وما بعدها.
(٣)) ينظر، نفسه، ص ١٢٨ وما بعدها.
(٤)) ينظر، نفسه، ص ١٣٣وما بعدها.
(٥)) ينظر، نفسه، ص ١٣٥وما بعدها.

المنارة للاستشارات
ww

في روايـة (الحـرام) ثـم يوسـف القعيـد في (عزبـة المنيـسي) وصنـع اللـه ابراهيـم في روايتـه (نجمـة أغسـطس)، وغيرهـم[1].

ز- المـرأة ودورهـا الاجتماعـي، حيـث تعكـس عنوانات الروايـات العربيـة الأولى- بحسـب روجـر ألـن- كروايـة (ذات الخـدر) و(زينـب) و(ثريـا) و(سـارة) و(حـواء) اهتـمام الكتـاب والمثقفـين العـرب بالمـرأة[2] التـي لا يمكـن لهـا أن تغـيّر مـن منزلتهـا ووضعهـا الاجتماعـي إلا مـن خـلال التعليـم والتـوق للحريـة والمسـاواة، وهـو مـا تجسّـده روايـة (أنـا أحيـا) التـي كتبتهـا الروائيـة اللبنانيـة (ليـلى بعلبـكي) عـام ١٩٥٨م.[3]

حـ- الفـرد والحريـة، وهـو مـا تعكسـه مجموعـة الروايـات التـي جعلـت مـن موضوعـة السـجن مـادةً لمقارعـة القمـع السـياسي في البـلاد العربيـة كروايات (السـجن ١٩٧٢) لنبيـل سـليمان و(الوشـم ١٩٧٢) لعبـد الرحمـن مجيـد الربيعـي و(شرق المتوسـط) لعبـد الرحمـن منيـف و(تلـك الرائحـة) لصنـع اللـه إبراهيـم، وغيرهـا مـن الروايـات العربيـة التـي أخـذت عـلى عاتقهـا تصويـر صراع الفـرد العـربي في مقاومتـه للاضطهـاد السـياسي وتوقـه للحريـة التـي يفتقدهـا في وطنـه[4].

المبحث الثالث

الاشتغال النقدي عند روجر ألن.. من المفهوم إلى الإجراء

إذا كان الجانـب النظـري مـن النقـد الأدبي مهتـما بالبحـث في ماهيـة الأدب ووظيفتـه وتصوراتـه ومفاهيمـه العامـة، فـإن الجانـب التطبيقـي سـينصبّ حـول تسـاؤلات الناقـد عـن مقوّمـات العمـل الأدبي، وطريقـة الكاتـب (الأديـب) في تصويـر هـذه المقومـات وتجسـيدها فنيًّـا وبيـان مـدى نجاحـه أو إخفاقـه في ذلـك.

(١)) ينظر، نفسه، ص ١٣٥وما بعدها.
(٢)) ينظر، نفسه، ص ١٤٧
(٣)) ينظر، نفسه، ص ١٥١.
(٤)) ينظر، المصدر نفسه، ص ١٥٦ وما بعدها.

المنارة للاستشارات
ww

وبما أن (روجر ألن) اختار الرواية العربية ميدانًا لاشتغاله النقدي، فهو يعترف بعد استعراضه السريع لوضع الكتابة الروائية العربية بقصور هذا الاستعراض عن الإحاطة بكل الأعمال المهمة والمرموقة[1] مُعلنًا عن انتقائه نماذجَ روائيةً محدَّدةً بغية الانتقال برؤيته النقدية الخاصة (من داخل النص إلى الميدان العام لبحث وضع كلٍّ من الكاتب والقارئ، وكذلك النص الروائي نفسه)[2]

ولذلك فهو يختار اثنتي عشرة روايةً كنماذجَ للتحليل الكاشف عن قناعةٍ مختمرةٍ وعن رؤيةٍ مسبَقةٍ مفادها: إن الرواية تمثّل النمط الأدبي الأكثر قدرةً على الكشف عن تعقيدات الحياة في مجتمعٍ ما وعن مناحي التنوع والتناقض فينا كبشرٍ، فضلاً عن أن هذه الرواياتِ المختارةَ كلَّها منشورةٌ بعد حرب حزيران 1967م وأثارت جدلاً كبيرًا وتفكيرًافي الطريقة العقيمة التي يحيا فيها المجتمع العربي[3]. أما الروايات العربية التي أثارت الفضول النقدي عند (ألن) فكانت كالآتي:

١ - «**ثرثرةٌ فوق النيل**» لنجيب محفوظ، الذي جمع فيها هذا الروائي عددًا من الشخصيات المثقفة تجمعهم عوامةٌ راسيةٌ في النيل، يلتقون فيها مساء كل يومٍ، وقد انقطعت صلتهم بالواقع من حولهم، فانصرفوا إلى ملذاتهم، وافتقدوا القدرة على المشاركة العملية في المجتمع، وقد وجد (ألن) هذه الرواية من أغنى روايات محفوظ رمزيةً[4]، وما العوامة فيها إلا (وسيلةٌ للانعزال عن عالم المدينة وعن المجتمع ومشكلاته، وسبيلاً للابتعاد عن الغربة التي تفرضها طبيعة الحياة الحديثة)[5]. ويتضح اقتراب (روجر ألن) في تعليقاته النقدية حول هذه الرواية من تصورات المنهج الاجتماعي التي فسّرت علاقة الفن بالواقع انطلاقًا من أن الفنون والآداب ما هي إلا انعكاسٌ لواقع الحياة وتطوُّرها.

(١)) ينظر، نفسه، ص ١٩٥.
(٢)) نفسه، ص ١٧٧.
(٣)) ينظر، نفسه، ص ١٩٦.
(٤)) ينظر، نفسه، ص٢٠٣.
(٥)) نفسه، ص ١٩٩.

المنارة للاستشارات
ww

٢ - «**ما تبقّى لكم**»، لغسان كنفاني، وهي: روايةٌ تتناول معاناة أسرةٍ فلسطينيةٍ نازحةٍ بسبب الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٤٨م، ثم تأخذ أحداثها بمتابعة تشتت الأسرة ممثّلةً بشخصية (حامد) وأخته (مريم) اللذين يكابدان أصناف المعاناة والعذاب بسبب تبدّل طريقة حياتهما بعد هذا النزوح المرير.

ويجد (ألن) في شخصية مريم التي أُجبرت على الزواج من الشخص الخائن (زكريا) صاحب الأولاد الخمسة الذي استغل براءتها وأنوثتها تجسيدًا لخيانة قضية فلسطين من الداخل[1]، وينتهي إلى أن الكتابات القصصية لكنفاني الملتزم بقضيته الكبرى (لا تكترث بالواقعية المضخمة التي تميز، بل يمكننا القول أنها تشوّه أعمال الآخرين ممن كتبوا عن القضية الفلسطينية دون أن تكون لديهم ملكات كنفاني الفنيّة).[2]

٣ - «**عودة الطائر إلى البحر**»، لحليم بركات المكتوبة بتأثير هزيمة حزيران التي أذلّتالعرب سياسيًّا، وهزت ضمائرَ كُتّابهم أدبيًّا عبر تغيير أشكال الكتابة لتشتمل على مظاهر مأساويّة الواقع وتشظياته، وقد تجسّدت أبعاد هذه المأساوية من خلال الشخصية الروائية التي يمثّلها في هذه الرواية البطل (رمزي الصفدي) الأستاذ الجامعي المشتت والمهزوم والمعبّر عن وعي الطبقة المثقفة العربية، وتلجأ هذه الرواية إلى أسطورة الهولندي الطائر[*] وتتخذ منها أنموذجها الأمثل لربط المأساة بالمأساة، بحيث يصبح الهولندي الطائر رمزًا للعذاب الفلسطيني المستمر، وتصبح البلاد العربية كسفينةٍ تائهةٍ دون دفةٍ في محيط هائجٍ[3].

٤ - «**موسم الهجرة إلى الشمال**» للطيب صالح، وهي رواية تتحدث عن التقاء الغرب والشرق وتناقضهما، واختلال التوازن بينهما بسبب سوء

(١)) ينظر، نفسه، ص ٢٠٩.

(٢)) نفسه، ص ٢١٢.

*) وهي عبارة عن شبح لسفينة أسطورية لا يمكنها أن ترسو في ميناء ومحكوم عليها الإبحار في المحيطات أبدا، ومن المرجح أن تكون هذه الأسطورة قد نشأت من الفولكلور البحري في القرن السابع عشر، وتبين المشاهدات المدونة لبعض البحارة أن السفينة تتوهج كضوء شبحي عند اقتراب سفينة أخرى منها... وعند محاولة إيصال أي رسالة من (الهولندي الطائر) إلى اليابسة أو إلى البشر يتضح أن طاقمها ماتوا منذ زمن بعيد، ويعد ظهورها علامة شؤم للبحارة ونذير بكارثة وشيكة. ينظر https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٣)) ينظر، روجر ألن، مصدر سابق، ص ٢١٣.

المنارة للاستشارات
ww

التفاهم الناجم عن تصادم القيم الثقافية لكلٍّ منهما، وذلك من خلال رحلة شخصٍ قرويٍّ شديد الفطنة (مصطفى سعيد) الذي ينتقل من قريةٍ سودانيةٍ منعزلةٍ لأغراض الدراسة إلى (لندن) المدينة الغربية الحديثة شكلاً ومضمونًا، وبعد هذه الرحلة المفعمة بالاكتشاف وبالعلاقات النسائية المتعددة الدوافع يعود البطل (مصطفى سعيد) ليتزوج من امرأة (حسنة) تنتمي إلى قريته ويشعر -كما ينقل لنا الراوي الذي يتابع هذه الأحداث بطرقٍ مختلفةٍ- أنها الوحيدة التي أحبها بصدقٍ، وحين يموت البطل يكتشف الراوي الذي اطلع القارئ على أسراره الشخصية وغوامض رحلته البعيدة وعلاقاته المتعددة أن حياة مصطفى سعيد ما هي إلا (رمزٌ كاملٌ لشعوره بالغربة داخل وطنه الأصلي، والذي سعى دائما لتأكيد هويته في فترة غربته أثناء وجوده في لندن)[1].

٥ - «**أيام الإنسان السبعة**» لعبد الحكيم قاسم المبنية حول حياة (عبد العزيز) الذي تتخذه الرواية محورًا لما يحيط به من أمورٍ وأحداثٍ يتحرك فيها ضمن عائلةٍ قرويةٍ تنتمي إلى مجموعةٍ صوفيةٍ (دراويش) داخل قريةٍ من قرى الريف المصري فترصد مراحل حياة هذا البطل في تنقّله من عالم الطفولة إلى عالم المراهقة والرجولة ثم اكتمال الشباب وما يصاحبه من تبدُّلٍ بالوعي نتيجة الاطلاع والدراسة والاكتشاف.

وبحسب (ألن)، فإن هذه الرواية تكشف من خلال أسلوب الاسترجاع (فلاش باك) عن نفور (عبد العزيز) من تقاليد المجموعة الصوفية التي ينتمي إليها بتأثير الوعي والدراسة الجامعية في الاسكندرية، وعليه فيمكن (رؤية الرواية على أنها نظرةٌ من الداخل لعملية تغييرٍ طويلةٍ وصعبةٍ في كثيرٍ من الأحيان، وكمواجهةٍ بين المفاهيم الشعبيّة للدين والخرافات السائدة ضمن تركيبة القرية من جهةٍ وبين سمات العالم المتغير في الخارج كما تتجلى في حياة المدينة والتعليم المعاصر من جهة أخرى)[2].

(١)) المصدر نفسه، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٢)) نفسه، ص ٢٣١.

المنارة للاستشارات

٦ - «**السفينة**» لجبرا إبراهيم جبرا، روايةٌ تدور أحداثها المتقاطعة والمتداخلة من خلال حديث مجموعةٍ من المثقفين الذين يعانون من تناقضات الواقع المحيط بهم، وهم على ظهر سفينةٍ منطلقةٍ من بيروت إلى أحد الموانئ الأوربيّة، ووجد (ألن) في سفينة جبرا براعةً في طريقة السرد وتوظيفًا موفّقًا للرموز، فالسفينة عالَمٌ مصغَّرٌ تتبادل فيه مجموعةٌ من المثقفين الأفكار المتعلقة بوجودهم وبنمط معيشتهم، أما البحر فما هو الأفق المفتوح لأصحاب هذه الأفكار وهم يتوقون إلى الحرية وإلى المطلق[1].

٧ - «**رباعية إسماعيل فهد إسماعيل**»، وهي عبارة عن أربع روايات متسلسلة نشرت بداية السبعينيات من القرن الماضي بالتتابع، وكالآتي: (كانت السماء زرقاء) (المستنقعات الضوئية)، (الحبل)، (الضفاف الأخرى)، وقد اتخذت من القمع السياسي وما رافقه من حرمانٍ واضطهادٍ واعتقالٍ ونفيٍ سياسيٍّ طال مجموعة من المثقفين العراقيين مطلع الستينيات من القرن المنصرم[2]، وتدور أحداث الرواية الأولى حول هروب شخصيتَي البطل والضابط الذي أقعدته إصابته بسبب الثورة الحاصلة في البلد و منعته عن مواصلة الحركة، وكلاهما ينشد الهرب خلاصًا من ماضٍ مؤلمٍ فيلتقيان لتدور أحداث الرواية من خلال حواراتهما واسترجاعاتهما كل لماضيه، أما رواية (المستنقعات الضوئية) فيشير عنوانها إلى زنزانات السجن التي تتسلل إليها خيوط الشمس بين حينٍ وآخرَ لتنير جوها الكابي النتن، وبطل الرواية (حميدة) سجينٌ محكومٌ عليه بالمؤبد لأنه دافع عن فتاةٍ تعرضت للقتل على يد أخويها في شارعٍ عامٍّ[3]، في حين لا يحمل بطل رواية (الحبل) اسما على الرغم من ميوله اليسارية الواضحة، وهو سجينٌ سياسيٌّ أيضا يفقد وظيفته الحكومية عقابًا له فيضطر لدخول الكويت للعمل، وبعد اكتشاف السلطات الكويتية عدم حيازته لجواز سفرٍ رسميٍّ تقوم بطرده للحدود، وهناك يصادر كل ما عنده من أموال ادخرها لأولاده، فينتهي

(١)) ينظر، المصدر نفسه، ص ٢٤٧-٢٤٨.
(٢)) ينظر، نفسه، ص ٢٥٠.
(٣)) ينظر، نفسه، ص٢٥٤-٢٥٥.

المنارة للاستشارات
ww

بـه المطـاف ليكـون لصًّـا لا يـسرق إلا رجـال الشرطـة![1] ويضيـف إسـماعيل فهـد عـام ١٩٧٢ إلى رباعيتـه روايتـه الثالثـة (الحبـل) ذات الشـخصية الرئيسـة الواحـدة حـين يبـدأ بطـل الروايـة بسرقـة بيـت أحـد ضبـاط الشرطـة، ومـن خـلال هـذا الموقـف يـدور حـوارٌ داخـليٌّ بـين البطـل وذاتـه، وقـد اسـتبطن هـذا الحـوار اسـترجاعاتمتتاليةً لمواقـفَ مختلفـةٍ مـن حيـاة البطـل المتخـذ مـن الحبـل الـذي يحمـل عنـوان الروايـة وسـيلة الوصـول إلى البيـوت لسرقتهـا، ثـم يختتـم هـذا الـروائي رباعيتـه بروايـة (الضفـاف الأخـرى) محـاولاً متابعـة خيـوط وملامـح الشـخصيات الرئيسـة التـي رسـمها في رواياتـه الثـلاث السـابقة بهـدف متابعـة خـطٍّ قصـصيٍّ متوائـمٍ معهـا جميعًـا[2]، غـير أن صاحـب الرباعيـة -بحسـب ألـن- ظـلّ دون مسـتوى النجـاح في إنتـاج تجربـةٍ مركّـزةٍ، كـما أن كلَّ روايـةٍ مـن رواياتـه الأربعـة تمتعـت بوجـودٍ مسـتقلٍّ عـن بقيـة أخواتهـا مـن الروايـات المندرجـة ضمـن هـذه الرباعيّـة[3].

٨ - «**الزينـي بـركات**» لجـمال الغيطـاني، التـي ترصـد حالـة مـصر إبـان السـلطة المملوكيـة مـن ٩١٢ هـ إلى ٩٢٣هـ، وهـي فـترة تعيـين الزينـي بـركات محتسـبا ذا سـلطاتٍ هائلـة. كـما تبـين صراع الأمـراء المماليـك في مـا بينهـم حـول السـلطة وتجسـس البعـض منهـم عـلى الرعيـة والسـلطان لصالـح الأتـراك ومـا رافـق ذلـك مـن قمـع واسـتبداد وعنـفٍ سـياسيٍّ. غـير أن هـذه الروايـة ذات التكنيـك الـسردي المتنـوع، وإن اسـتلهمت التاريـخ؛ فقـد ظلـت مليئـة بالمفاتيـح والدلائـل التـي تسـتهدف الحـاضر الـذي يحيـاه الكاتـب[4]. وعـلى الرغـم مـن وجـود تشـابهٍ واضـحٍ بـين عهـد الزيـن بـركات المـليء بالبصاصـين (الجواسـيس) والمنتفعـين السياسـيين وعـصر الرئيـس المـصري (عبـد النـاصر) فروجـر ألـن يرفـض أن تصنّـف هـذه الروايـة عـلى أنهـا مجـرد انعـكاسٍ للحظـة تاريخيـة معينـةٍ ومحـدودة، مؤكّـدًا في الوقـت نفسـه مسـاهمتها الواضحـة في تطويـر أسـاليبٍ الـسرد في الروايـة العربيّـة الحديثـة[5].

(١)) ينظر، نفسه، ص ٢٥٦.
(٢)) ينظر، نفسه، ص٢٥٧- ٢٦٠.
(٣)) ينظر، نفسه، ص ٢٦٠.
(٤)) ينظر، نفسه، ص ٢٦٤.
(٥)) ينظر، نفسه، ص ٢٧٥.

المنارة للاستشارات
ww

٩ - «**الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل**» لأميل حبيبي، وهي عبارةٌ عن ثلاث رسائلَ أرسلها سعيد أبو النحس المتشائل إلى الراوي بعد أن اختفى سعيد مع رجل الفضاء، ويعرض في هذه الرسائل ما يتعلق بتاريخه العائلي ومقتطفاتٍ من حياته بصورةٍ تبعث على السخرية والضحك من الطريقة التي يحيا فيها عرب إسرائيل بعد حدوث النكبة عام ١٩٤٨م. ويجد (روجر ألن) هذا العمل الروائي مكرّسًا للتجربة الفلسطينية بكل أبعادها المأساويّة[1] ثم يخلص إلى أن إميل حبيبي من خلال رسالته في هذا العمل تعبيراً أدبيًّا أخّاذًا عن حاجة عرب (إسرائيل) لما يعبّر عن كينونتهم ووجودهم كأعضاء في مجتمعٍ منقسمٍ على نفسه.[2]

١٠ - «**النهايات**» لعبد الرحمن منيف، وهي روايةٌ تتخذ من الصحراء موضوعًا لها بخلاف الروايات العربية التي غالبا ما يكون موضوعُها المدنَ وسكانَها المنتمين للطبقة البرجوازية[3]، ومسرح الرواية قرية (طيبة) الواقعة على تخوم الصحراء حيث الصعوبات الجمة التي يواجهها سكان هذه القرية المهددة بالرمال الزاحفة وبالحرارة اللاهبة وشحة المياه على مدار العام، ما يجعل منها روايةً تركز على جماعةٍ لا على بطلٍ فردٍ مع وجود شخصيةٍ رئيسةٍ (عساف) المحب للطبيعة والرافض لصيد الحيوانات والطيور البرية بشدةٍ، كما أنها روايةٌ تركّز على البيئة أكثرَ من تركيزها على الأحداث[4].

١١ - «**حكاية زهرة**» لحنان الشيخ، حيث ترتبط هذه الرواية بفترةٍ تاريخيةٍ معروفةٍ من حياة الشعب اللبناني هي فترة الحرب الأهلية ودخول إسرائيل إلى الميدان اللبناني، كما تعالج الرواية ضمن إطارها السردي المتشعب وضع المرأة متخذةً من سلوك (زهرة) الفتاة المنحدرة من جنوب لبنان والمجسّدة لتحطّم الأسرة اللبنانية وتفكّك أواصرها أثناء الحرب.[5]

(١)) ينظر، نفسه، ص ٢٨٠.
(٢)) ينظر، نفسه، ص ٢٩٠.
(٣)) ينظر، نفسه، ص ٢٩١.
(٤)) ينظر، نفسه، ص ٢٩٣.
(٥)) ينظر، نفسه، ص ٣٠٠.

المنارة للاستشارات
ww

إن هـذه الروايـة -بحسـب روجـر ألـن- مليئـةٌ بالرمـوز ابتـداءً مـن عنوانهـا مرورًا بتـوزّع جسـد (زهـرة) بـين أربعـة رجـال، ابـن عمهـا قاسـم، ومالـك صديـق شـقيقها، وهاشـم خالهـا، وماجـد زوجهـا، وانتهـاءً بتشـتت الأمكنـة التـي تحلهـا زهـرة وتنوّعهـا[1].

١٢ - «**نزيـف الحجـر**» لإبراهيـم الكـوني، تتحـدث عـن علاقـةٍ بـين الشـخصية المحوريـة (أسـوف) وحيـوان الـودان الصحـراوي (تيـس جبـليّ) يحيطـه الغمـوض والغرابـة ويسـبغ عليـه مـن يـروي أحـداث الرواية صفاتٍ إنسـانيّة[2] تؤكـد وحـدة وتكامـل مخلوقـات الطبيعـة الصحراويـة التـي تنتمـي لهـا الروايـة[3]. وتقـدم نزيـف الحجـر- كـما يـرى ألـن- رؤيًـا فريـدةً مـن خـلال تركيزهـا عـلى المـكان القـصيّ (الصحـراء) في البيئـة العـربي عـبر اللجـوء للأسـطورة، ومـن خـلال الاسـتعانة بأسـلوبٍ سرديٍّ ينـوّع ألـوان الحـكي مـا يجعـل القـارئ متوثّبًـا عـلى الـدوام حينـما يجـري تغريـب الواقـع بـين يديـه بهـذه الطريقـة المذهلـة[4].

ويبـدو لنـا ونحـن ننهـي هـذا العـرض الموجـز للنصـوص الروائيـة التـي حلّلهـا (روجـر ألـن) أنـه قـد اعتمـد منهجًـا وصفيًّـا انتقائيًّـا حـاول مـن خلالـه البحـث عـن محـاور التقاطـع والالتقـاء بـين مضامـين النصـوص الروائيـة التـي حللهـا والأفـكار التـي تشـغل المثقفـين العـرب والثقافـة العربيـة ولا سـيما في الفـترة التـي تلـت نكسـة حزيـران 1967م. وقـد ظـل (روجـر) ألـن مشـغولاً في كل النـماذج التـي اختارهـا ناقـدًا مضمونيًّـا يتصيـد الـرؤى الاجتماعيـة دون أن يتغلغـل في جماليـات أشـكال هـذه المضامـين، مـا يدلـل عـلى أنـه لا يـرى في الأدب إلا انعكاسًـا مرآويًّـا للواقـع الـذي أنتجـه، وإنّ هـذا الأدب لا يحتمـل مبـدأ الاسـتقلال الضمنـي عـن المجتمـع الـذي أنتجـه أو حتـى عـن المبـدع الـذي أبدعـه، ومـع هـذا يبقـى كتابـه عـلى قـدرٍ مـن الأهميـة لأنـه ينبّـه القـارئ العـربي عـلى نوعيـة الروايـة العربيـة الأكـثر إثـارةً للقـارئ الغـربيّ الحصيـف والأكاديمـي عـلى وجـه الخصـوص.

(١)) ينظر، نفسه، ٣٠٢.
(٢)) ينظر، نفسه، ٣٠٤.
(٣)) ينظر، نفسه، ص ٣٢٠ وما بعدها.
(٤)) ينظر، نفسه، ص ٣٢٥.

المنارة للاستشارات
ww

المصادر والمراجع

- أحمد إبراهيم الهواري نقد الرواية العربية في الأدب العربي الحديث في مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٣م.
-أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. (القاهرة: المؤلف، بدون تاريخٍ).
- ب.م كربرشويك: الابداع القصصي عند يوسف إدريس، ترجمة: رفعت سلام، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الأولى،١٩٩٣م
- جاك جوميه: ثلاثية نجيب محفوظ، ترجمة: نظمي لوقا، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٤م.
- روجر ألن: الرواية العربية مقدمةٌ تاريخيةٌ ونقديّةٌ، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٧م (د ط).
- : مقدمة للأدب العربي، ترجمة: رمضان بسطاويسي، مجدي أحمد توفيق، فاطمة قنديل، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.
- عبد الله العروي: الأيديولوجية العربية المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، د. ط، ١٩٧٠م
- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحثٌ في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨م.
- محمد سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي، نماذجُ تحليليةٌ من النقد العربي،دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط٢ ١٩٩٤م
- محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس ط١، ٢٠١٠م.
- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط١ ١٩٨٧م.
- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط٤ ١٩٨٠م، ج٢.
- د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبيّة العربيّة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

*https://ar.wikipedia.org/wiki/

* https://www.albayan.ae/paths/books/٢٩-٠٦-٢٠٠٨

المنارة للاستشارات

ww